

أحاديث رمضان ١٤٣٨ . درر ٣ . الحلقة الخامسة عشرة: اليقين.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٧-٠٦-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم؛ يقول الحسن رضي الله عنه: " إن من ضعف اليقين أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل"، موضوع حلقتنا اليوم حول اليقين، كيف يكون يقيننا بالله تابعونا...
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مقلب القلوب والأبصار، والصلاة والسلام على النبي المختار، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار.

أخوتي أخواتي أينما كنتم بتحية الإسلام أحبيكم، وتحية الإسلام السلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في مستهل حلقة جديدة من برنامجنا: " درر " اسمحو لي في بدايتها أن أرحب باسمكم جميعاً بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور راتب :

وعليكم السلام، وبارك الله بكم، ونفع بكم.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نتحدث اليوم عن منزلة من منازل القلوب، وعمل من أعمال القلوب وهو اليقين، ولعل اليقين من صفات المؤمنين الخالص، سيدي بداية ما هي مراتب العلم وأين يقع اليقين فيها؟

أنواع اليقين :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة هناك يقين حسي، اليقين الحسي أدواته الحواس الخمس واستطالاتها، كالتلصوب والميكروسكوب، هذا اليقين الحسي نعيشه جميعاً البشر وغير البشر، لكن هناك يقيناً عقلياً، اليقين الحسي المنظور ظهرت عينه وآثاره، فأداة اليقين به الحواس الخمس واستطالاتها، كالتلصوب والميكروسكوب، أما اليقين العقلي فشيء غابت عينه بقيت آثاره، أنا لا أرى الكهرباء إطلاقاً لكنني أرى آثارها، تألق المصباح، دفء المدفأة، فإذا غابت عينه وبقيت آثاره أداة اليقين به العقل، هذا العقل أعقد آلة في الكون من دون استثناء، هذا العقل مئة وأربعون مليار خلية استنادية سمراء لم

تعرف وظيفتها بعد حتى الآن، بالقشرة أربعة عشر مليار خلية، فيها الذاكرة، فيها المحاكمة، وما إلى ذلك، إذا غابت عين الشيء وبقيت آثاره أداة اليقين به العقل، وأكثر من ألف آية في القرآن الكريم:

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

[سورة يس: ٦٨]

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾

[سورة الغاشية: ١٧]

أفلا يتفكرون، نحن علاقتنا بالدين مع هذا الحال، الإله العظيم:

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة الأنعام: ١٠٣]

أما آثاره فهي الكون، ترى حكمة الله من خلقه، يوجد أشياء بالأرض جميلة جداً، عندنا بحث في اللغة دقيق الكلمة هي حروف، مقاطع صوتية، لا تفهم إلا بمرتکز واقعي، مثلاً تقول: بحر، لو أن إنساناً ولد وما رأى البحر في حياته إطلاقاً سمع كلمة بحر، باء حاء راء، ما فهم منها شيئاً، لكن لو ذهب إلى البحر، ركب البحر، مياه زرقاء عميقة مالحة، هذه الرؤية إذا نطق بكلمة بحر تثير عنده كل هذه المشاهد، اللغة ليس لها معنى إطلاقاً من دون مرتکز مادي.

بالمناسبة شيء وذكر لولا أن في الأرض أماكن جميلة، غابات خضراء، بحر أزرق، بحيرات جميلة، فواكه جميلة، الفاكهة فيها جمال بشكلها فقط، ما فهمنا آيات الجنة، ولعل حكمة الله عز وجل أنه جعل في الأرض أماكن جميلة من جبال خضراء، من وديان جميلة، من أنهار، من بحار، من حيوانات رائعة، كأوز البط مثلاً شيء جميل جداً، يوجد جمال بالكون حقيقي، هو جمال الله، الله تجلى على الشيء باسم الجميل صار جميلاً، والإنسان يحب الجمال والكمال والنوال، سبعة مليارات ومئتا مليون أحدث إحصاء ما منهم واحد إلا ويحب الكمال، موقف كامل أن تتجدد الفقير، أن تعين المسكين، والجمال الحسي والمعنوي، والنوال العطاء.

الأستاذ بلال :

هذا اليقين العقلي، أي نحن عندما نرى أشياء جميلة نستنتج جمال الله عز وجل؟

الدكتور راتب :

نعم عقلياً، و عندنا شيء آخر هو اليقين الحسي، إذاً عندنا يقين عقلي و يقين حسي و يقين إخباري، دخلت إلى بيت صديقك عنده مكتبة مغلقة لا يوجد لها بلور، أنت لا تعلم مهما كنت ذكياً ما بداخل هذه المكتبة، قال لك: كتب قديمة، انتهى الأمر، هذا اليقين الإخباري، إلا أن اليقين الإخباري قيمته من قيمة المخبر، فإذا كان المخبر هو الله، مثلاً قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾

[سورة الفيل: ١]

أنا ما رأيت، قيل: إخبار الله لك ينبغي أن تأخذه وكأنك تراه.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل اليقين أين يقع في مراتب العلم؟ هو فوق العلم؟ هو أعلى شيء؟
الدكتور راتب :

الحقيقة العلم علاقة بين متغيرين، مقطوع بصحتها، تطابق الواقع، عليها دليل، لو ألغينا الدليل لكان تقليدياً، وهذا الدين العظيم لا يقبله الله تقليدياً، ما قال: فقل لا إله إلا الله، قال تعالى:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة محمد: ١٩]

عندنا يقين إخباري الدين، عندنا يقين عقلي العلم، عندنا يقين حسي الحواس الخمس واستطالاتها.
الأستاذ بلال :

أستاذنا مثلاً اليقين ممكن أن يكون غلبة ظن أم هو قطعي مئة بالمئة؟

مرتبة اليقين :

الدكتور راتب :

الآن دخلنا بموضوع آخر؛ نحن عندنا أدنى شيء الوهم، وهو ثلاثون بالمئة، ثم نأتي إلى الشك، و الشك خمسون بالمئة، يستوي الطرفان، أما الوهم فيستوي السلب، أعلى من الوسط الظن، أعلى من الظن غلبة الظن، تسعون بالمئة، أعلى من غلبة الظن القطع، اليقين قطعاً.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل في القرآن الكريم يتحدث الله عن علم اليقين وعن حق اليقين وعن عين اليقين، قال تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

[سورة التكاثر: ٥-٦]

ما العلاقة بينهما؟

العلاقة بين علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين :

الدكتور راتب :

مثلاً أنا أرى دخاناً وراء الجدار، فبعقلي بحسب مبدأ السببية أطبق هذا المبدأ في عقلي على ما رأيت، والحكمة تقول: لا دخان بلا نار، أنا أكتشف أن وراء الجدار ناراً، هذا علم اليقين. لو تحركت إلى وراء الجدار رأيت النار هذا حق اليقين، فإذا اقتربت من النار وشعرت بحرارتها هذا صار عين اليقين، بين علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين.

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم سنعود للمتابعة بعد الفاصل..

السلام عليكم؛ عدنا إليكم من جديد لنتابع الحديث بصحبكم حول موضوع اليقين، أستاذنا الفاضل تحدثنا عن تعريف اليقين قبل الفاصل، الآن ننتقل على تطبيقات اليقين في واقعنا، الله عز وجل يتحدث في القرآن الكريم عن اليقين بالآخرة، قال تعالى:

﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

[سورة البقرة: ٤]

يوجد أكثر من آية يتحدث الله فيها عن اليقين بأن هناك يوماً سنقف فيه بين يدي الله جميعاً تسوى فيه الحسابات، ما أهمية هذا اليقين بالآخرة؟

أهمية اليقين بالآخرة :

الدكتور راتب :

مبدئياً اليقين بالآخرة إخباري، لكن حينما ترى كوناً عظيماً، كوناً متقناً، إعجازاً في الخلق، كمالاً مطلقاً في خلق المخلوقات، إن في الجمادات، أو في النباتات، أو الحيوانات، أو الإنسان، هذا الكلام يقتضي إلهاً عظيماً صمم وأبدع، وخالق وسوى، وهناك إنسان غني وإنسان فقير، و قوي وضعيف، ومُغْتَصِبٌ ومُغْتَصَبٌ، ومُسْتَعْمِرٌ ومُسْتَعْمَرٌ، وهناك ظلمات ومظالم، فلا يتناسب الخلق المعجز الإله العظيم الخالق البارئ المصور مع التفاوت في الحظوظ، لا بد من يوم هذا الإيمان بالآخرة عقلياً، لا بد من يوم تسوى فيه الحسابات، لذلك الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء، والحظوظ سوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، الإنسان جاء إلى الدنيا، ودخله محدود، وسعى بكل ما يملك ليرفع دخله و لم يستطع، رضي عن الله بهذا الدخل، أي استقام على أمر الله، وهناك إنسان آتاه الله أموالاً طائلة ونسي أن يعبد الله، وأن يحسن إلى عباده، هذا أعطي مالاً كثيراً، وهذا حرم من المال، لولا أن هناك آخرة صار هناك ظلم، والكمال المطلق الذي نكشفه من خلال خلق الله لا يتناسب مع هذا الواقع، إذاً لا بد من يوم آخر تسوى فيه الحسابات، لذلك أكثر كلمتين وردتا في القرآن الكريم في معظم آياته الإيمان بالله وباليوم الآخر، الإيمان بالله يحملك على طاعة الله، والإيمان باليوم الآخر يمنعك أن تؤذي مخلوقاً، لذلك الإنسان لا يكون عاقلاً إذا عرف الله، قد يكون ذكياً، وقد قيل: ما كل ذكي بعاقل، قد تحمل درجة دكتوراه بالفيزياء النووية من أرقى جامعة في العالم إن لم تعرف ربك لا تعد عاقلاً، تعد ذكياً فقط، لذلك قيل: ما كل ذكي بعاقل، العاقل من عرف الله، عرف سرّ وجوده، عرف غاية وجوده، عرف حقيقة الدنيا، أنا مرة أذكر أن إنساناً دخل إلى الجامعة، في الجامعة مطعم راق، مكتبة رائعة، قصص جميلة، حداثق، هذا الذي صرف وقته بقراءة القصص من مكتبة الجامعة، وفي تناول الطعام في المطعم، وفي الإقامة بأماكن جميلة، ونسي أن هناك جامعة ينبغي أن يدرس، هذه الطامة الكبرى، حينما يغفل الإنسان عن سرّ وجوده وعن غاية وجوده يكن أغيب الأغباء، وما رأيت عاقلاً كالمؤمن عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، هو ليس محروماً هو ابتعد عن الإسراف والتبذير والكبر والتيه والعجب، أعرض عن أمراض النفس.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل هنا كما فهمت منكم هذا اليقين بالآخرة هو يقين استدلالي بالعقل، واليقين الإخباري من الله عز وجل.

الدكتور راتب :

نعم، أي شيء عجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به.

الأستاذ بلال :

هذا تفاصيل الآخرة، أي الحساب ويوم القيامة والصراف وما إلى ذلك، أستاذنا الفاضل فإذا آمن الإنسان وأيقن لا نقول: آمن، نقول كما في القرآن الكريم:

﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

[سورة البقرة: ٤]

أيقن بأن هناك يوماً سيفف فيه بين يدي الله، كيف ينعكس ذلك على سلوكه؟

كيفية انعكاس اليقين على سلوك الإنسان :

الدكتور راتب :

يستقيم، أي إنسان - السبعة مليارات والمئتا مليون إنسان - حريص على سلامة وجوده، من يحب المرض؟ الفقر؟ القهر؟ هذا واحد.

وحريص على كمال وجوده، من لا يحب أن يكون في بحبوحة مالية؟ في بيت فيه زوجة صالحة وأولاد أبرار وبنات مؤمنات؟ الإنسان جبل على حب وجوده، وعلى حب كمال وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، الجواب: سلامة الوجود في الاستقامة على أمر الله، والاستقامة ابتعد عن كل معصية، يقول لك المستقيم: أنا ما أكلت مالا حراماً، ما اغتبت، ما كذبت، هذه الاستقامة، ترك العمل الصالح إيجابي، دفعت مالا، أرشدت إنساناً لطاعة الله، دعوت إلى الله، أنفقت من مالي على الفقراء والمساكين، أنشأت مستشفى خيرية، أنشأت معهداً شرعياً، أنشأت مسجداً مثلاً، سلامة وجوده بالاستقامة، كمال وجوده بالعمل الصالح، أما الثالثة فاستمرار وجوده، وهذه دقيقة جداً بتربية الأولاد، الذي يبلغ أعلى منصب في الأرض، ويجمع أكبر ثروة فيها، ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس، لذلك تربية الأولاد هي راحة للنفس، هي سعادة للأم، أن يرى الأب ابنه صالحاً، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

[سورة الفرقان : ٧٤]

هذه الحالة النفسية لا يعرفها إلا من ذاقها، له ابن صالح، مستقيم، له مكانة.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل اليقين بالآخرة يدفع المؤمن إلى الاستقامة، وإلى العمل الصالح، وإلى تربية الأولاد، أستاذنا الفاضل يقول تعالى:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[سورة الحجر: ٩٩]

ما اليقين؟

تعريف اليقين حسب الآية السابقة :

الدكتور راتب :

معنى السياق في النص.

الأستاذ بلال :

يعبد ربه حتى نهاية الحياة.

الدكتور راتب :

هو اليقين أبدأ، اليقين القطعي الذي لا بد منه.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بعض العارفين يقول: لو رأيت النار ما ازددت يقيناً. كيف يصل الإنسان إلى هذا؟

كيفية وصول الإنسان إلى اليقين القطعي :

الدكتور راتب :

قبل رؤية النتائج كيقينه بعد رؤية النتائج، والله لو رأيت الله ما ازددت يقيناً، هذا الكلام لسيدنا علي، يقينه قبل معرفة النتائج كيقينه بعد معرفة النتائج، لو فرضنا إنساناً متفوقاً في العلم، ورأى جهازاً كهربائياً غالياً جداً، و هناك وصلة ضعيفة، حتى لو جاء التيار عالياً تسيح وينقطع التيار، لو ألغيت هذه الوصلة يصبح التيار متبدلاً يتوقع أن يحترق الجهاز، هذا توقع علمي مبني على معلومات، هم وضعوا مكاناً يسمى الفيوز وصلة ضعيفة، لو جاء التيار عالياً تسيح وينقطع التيار فيسلم الجهاز. مثل آخر؛ راكب سيارة يوجد ضوء أحمر تألّق، لو إنسان جاهل ظنه تألّقاً تزيبينياً تابع السير فاحترق المحرك، إذا فهم حكمته أنه تألّق تحذيري أوقف المركبة أضاف الزيت سلم المحرك، هو الأغلب الفهم.

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل جزاكم الله خيراً، وأحسن إليكم.

أخوتي الأكارم؛ ختاماً قال أحد الصالحين: رأيت الجنة والنار حقيقة بعيني، قالوا له: انظر ماذا تقول؟ قال: رأيتهما بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورؤيتي لهما بعيني رسول الله أصدق

عندي من رؤيتي لهما بعيني، لأن بصري قد يزيغ ويطغى، لكن بصر النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيغ ولا يطغى إنه اليقين.
إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين